جامعة سوهاج

كلية التربية

المجلة التربوية

أثر عمل الخير في الإصلاح الذاتي والأسري

إعداد

د/ سارة هليل المطيري

أستاذ مساعد بقسم التربية الإسلامية والمقارنة

كلية التربية – جامعة أم القرى– المملكة العربية السعودية

تاريخ استلام البحث : ١٤ يونيه ٢٠٢٢م – تاريخ قبول النشر: ٢ يوليو ٢٠٢٢م

DOI: 10.12816/EDUSOHAG.2022.

مستخلص البحث

عنوان البحث: أثر عمل الخير في الإصلاح الذاتي والأسري.

استهدف البحث: إبراز مستويات الإصلاح الذاتي للفرد، واستنباط أعمال الخير المؤثرة في إصلاحه من آيات القرآن الكريم، ومن ثم استنباط الآثار المترتبة على حصول الإصلاح الذاتي للفرد، وكذلك استنباط أعمال الخير كمقومات للإصلاح الأسري، وبيان أهم الآثار المترتبة على توافر مقومات الإصلاح داخل الأسرة.

اتبع البحث المنهج الوصفي، وتوصل لعديد من النتائج، منها:

–إصلاح الدين هو أول مستوىً يجب أن ينصرف إليه اهتمام المُصلح لنفسه.

–من أعمال الخير المؤثرة في حصول الإصلاح الذاتي: التوبة، والاعتصام بالله، وإخلاص الدين له، والإيمان، والتقوى، والعفو.

–أكثر أعمال الخير المؤثرة في حصول الإصلاح الذاتي هي: التوبة.

–من آثار حصول الإصلاح الذاتي للفرد: توبة الله على العبد، والصفح عمن صلح حاله، والأجر العظيم من الله، وحصول المغفرة والرحمة، وانتفاء الخوف والحزن.

–من أهم مقومات الإصلاح الأسري: التأهل للإصلاح، وإرادة الإصلاح، وبذل الاستطاعة فيه، وطلب التوفيق من الله، والتوكل عليه، واتباع سبيل المصلحين.

–من الآثار المترتبة على توفر مقومات الإصلاح الأسري، التوفيق بين الزوجين، وحصول المغفرة والرحمة، واستجابة الدعاء، وحفظ الذرية، والتجاوز عن السيئات.

–ضرورة المسارعة في أعمال الخيرات من جميع أفراد الأسرة معًا؛ لأن صلاحها يكون بمجموع صلاحهم.

الكلمات المفتاحية: آثار الإصلاح– الإصلاح القرآني– التوبة– التربية الإسلامية– الإصلاح الأسري.

The Impact of Charitable Work on Reforming Self and Family.

Abstract

This research aimed to highlight the levels of self-reform for the individual, and to derive the good deeds affecting this reform from the verses of Qur'an, and then elicit the implications of individual's self-reform, and to elicit the charitable deeds as factors of family reform, and to indicate the most important effects if the components for reform are available within the family. The descriptive approach was used, and several results were reached, including:

-Reforming religion is the first level to which the reformer's attention must be devoted.

-Among the good deeds that affect self-reform are: repentance, holding fast to God, devotion to Him, faith, piety, and forgiveness.

-The most effective act of goodness that leads to self-reform is Repentance.

-Among the effects of individual self-reform: God's repentance for the servant, forgiveness for those correcting their condition, great reward from God, forgiveness and mercy, and the absence of fear and sadness.

-Among the most important components of family reform: qualifying for reform, the desire to reform, exerting one's ability, asking success from God, trusting in Him, and following the path of reformers.

-Among the effects of having the factors of family reform are reconciliation between spouses, forgiveness and mercy, answering prayers, preserving offspring, and overlooking sins.

-The necessity of hastening the good deeds by all family members together because its goodness is the sum of their goodness.

Keywords: Effects of reform- Quranic reform- repentance- Islamic education- Family reform.

 Print:(ISSN 1687-2649) Online:(ISSN 2536-9091)

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين، بعثه الله تعالى بالقرآن الكريم والسنة المطهرة؛ فأصلح به حال العباد، وترك أمته على المحجة البيضاء؛ فما أبقى باب خيرٍ إلا ودلهم عليه ولا باب شرٍ إلا وحذرهم منه.

حثّ الإسلام أبناءه على المبادرة والمسارعة والاستباق إلى الخيرات كما في قول الله تعالى: (فاستبقوا الخيرات) [البقرة: ١٤٨]، وربّى المسلمين على أعمال الخير بأنواعها، وبيّن لهم تعدد أبوابها، وهذا واضح مبثوث في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ كما بيّن الله تعالى صفات المسارعين المبادرين لأعمال الخير؛ فقال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ* وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ* وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ* أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) [المؤمنون: ٦١/٥٧]، يذكر (الطبري، ١٤٢٢، ج. ١٧، ص. ٧٢) في تفسير (أولئك يسارعون في الخيرات): هؤلاء الذين هذه صفاتهم، يبادرون في الأعمال الصالحة، ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته.

وقد كان من دعاء النبي ﷺ سؤاله الله تعالى فعل الخيرات؛ دلالة لأمته أن يحرصوا على أعمال الخير وسؤال الله فعلها، يقول عليه السلام: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ، وَأَنَا غَيْرُ مَفْتُونٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبًّا يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ" (الحاكم، ١٩٣٢، ١، ص. ٧٠٨). وقد بين القرآن الكريم موعود الله لعباده في قوله تعالى: (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) [البقرة: ١١٠]: "أنهم مهما فعلوا من خير فإنه لا يضيع عند الله، بل يجدونه عنده وافرًا موفرًا قد حفظه" (السعدي، ١٤٢٠، ص. ٦٢).

والحرص على عمل الخير في هذه الأمة لا يقف عند حدّ قيام الفرد به، بل يتعدى؛ ليجعل من واجباته دعوة غيره إلى عمل الخير، يتضح هذا من الأمر الرباني لأمته ﷺ بالدعوة إلى الخير في قوله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران: ١٠٤]، يقول (ابن عاشور، ١٩٨٤): "وصيغة

(ولتكن منكم أمة) صيغة وجوب، وعلى اعتبار الضمير خطاباً لأصحاب محمد –ﷺ– فإن حكم الوجوب يثبت على كل جيل بعدهم بطريق القياس لئلا يتعطل الهدى" (ج. ٤، ص. ٣٨/٣٧).

إن أعظم أعمال الخير تنتظم لتحقيق إرادة الإصلاح الذي هو من مقاصد الأنبياء – عليهم السلام–، فتحقيق الإصلاح يحصل من خلال عمل الخير، قال الله تعالى على لسان شعيب –عليه السلام–: (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [هود: ٨٨]. ولذلك انشغل المصلحون من بعدهم بهذه المهمة الجليلة، ليقينهم بأن عمل الخير والدعوة إليه هو السبيل لإصلاح المجتمع؛ وتصديقهم بموعود الله بأن المحافظة على الإصلاح أمان للناس وحفظ من الهلاك، قال تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) [هود: ١١٧]، فـ"أخبر الله تعالى أنه لم يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها ولم يأتِ قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين" (ابن كثير، ١٤٢٠، ج. ٤، ص. ٣٦٠).

وبناءً على ما سبق فإن البدء بصلاح الأفراد ممهدٌ ومؤسس لإصلاح أُسرهم ومجتمعاتهم، حافظٌ لها، والمصلحون يولونه جل اهتمامهم رجاء حصول منفعة أسرهم؛ والنفع المتعدي للغير خير من النفع القاصر على صاحبه كما هو معلوم.

ولأهمية أعمال الخير في تحقيق الإصلاح الذاتي والأسري كان اختيار موضوع هذا البحث بعنوان: أثر عمل الخير في الإصلاح الذاتي والأسري.

مشكلة البحث:

التربية في أحد أهم معانيها اللغوية هي الإصلاح؛ حيث الأصل اللغوي لكلمة التربية: ربّ، والربّ إصلاح الشيء كما ذكر (ابن فارس، ١٣٩٩، ج. ٢، ص. ٣٨١)، والتربية الإسلامية تبحث في كل ما يصلح الفرد والأسرة، مستهدفةً بذلك حصول الإصلاح العام للمجتمع والأمة.

ومن البدهيّ للمهتمين بشأن الأسرة أن إطلاق وصف الصلاح على أسرة بعمومها يكون بالنظر لمجموع صلاح أفرادها، وعليه فالبداية بإصلاح الذات لكل فرد من أفراد الأسرة هي الخطوة الأولى لإصلاح الأسرة بأكملها بإذن الله تعالى. كما أن صلاح الوالدين مؤثر في صلاح أبنائهم، وحرصهما وعنايتهما بعملية الإصلاح هي المهمة التي لا يجوز لهما إهمالها أو التخلي عنها؛ وذلك بحكم مسؤوليتهما عن التربية، خاصة في مراحل الغرس الأولى.

لقد أنزل الله تعالى القرآن لصلاح أمر الناس كافة، والمقصد الأعلى من ذلك صلاح أحوالهم الفردية والجماعية (ابن عاشور، ١٤٢٥، ج. ٢، ص. ١٢٥)، كما شنّع على الفساد والمفسدين، بقوله تعالى: (والله لا يحب الفساد) [البقرة: ٢٠٥]، وقوله تعالى: (إن الله لا يحب المفسدين) [القصص: ٧٧]؛ فالصلاح والإصلاح سبيل لحصول محبة الله تعالى.

لقد نصت كثير من آيات القرآن الكريم على الربط بين عدد من أعمال الخير والإصلاح، وظهر من خلالها وجود تأثير لعمل الخير في حصول الإصلاح الذاتي والأسري، كما سيتبين في ثنايا هذا البحث.

وقد اتجه البحث بدايةً إلى الحديث الجامع الذي يرويه الإمام مسلم رحمه الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ" (النيسابوري، د.ت، ج. ٤، ص. ٢٠٨٧، حديث رقم: ٢٧٢٠)، فهذا الحديث دالٌ على أن الإصلاح هدف ينبغي للمسلم السعي له، والإلحاح بسؤال الله تعالى حصوله، جاء في شرح المشكاة: أن هذا الدعاء من الجوامع (الطيبي، ١٤١٧، ج. ٦، ص. ١٩٢٤)، فقد وضع للمسلم الخطوط العريضة لما ينبغي له إصلاحه؛ وأظهر ثلاثة مستويات للإصلاح تحيط بحياة الفرد وعليها مدار نجاته؛ فاستهدف البحث إبراز هذه المستويات من خلال الحديث الشريف، ثم انطلق للبحث في دلالات الآيات القرآنية عن أعمال الخير المؤثرة في إصلاح الفرد، واستنباط أعمال الخير كمقومات للإصلاح الأسري والتي بتوفرها يتحقق الإصلاح ويؤتي ثماره. وعليه تحددت مشكلة الدراسة في بيان أثر عمل الخير في الإصلاح الذاتي وأعمال الخير التي تمثل مقومات الإصلاح الأسري.

<u>من خلال الإجابة على أسئلة البحث الآتية:</u>

١- ما مستويات الإصلاح الذاتي للفرد؟

٢- ما أعمال الخير المؤثرة في إصلاح الفرد؟

٣- ما آثار حصول الإصلاح الذاتي للفرد؟

٤- ما أعمال الخير التي تمثل مقومات الإصلاح الأسري؟

٥- ما الآثار المترتبة على توفر مقومات الإصلاح الأسري؟

أهداف البحث:

يستهدف البحث بشكل عام إيضاح أثر عمل الخير في الإصلاح الذاتي وتحقيق مقومات الإصلاح الأسري، وذلك من خلال الآتي:

١- إبراز مستويات الإصلاح الذاتي للفرد.

٢- استنباط أعمال الخير المؤثرة في إصلاح الفرد.

٣- استنباط الآثار المترتبة على حصول الإصلاح الذاتي للفرد.

٤- إبراز أعمال الخير كمقومات للإصلاح الأسري من خلال الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع.

٥- بيان أهم الآثار المترتبة على توافر مقومات الإصلاح داخل الأسرة.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث إجمالاً من ارتباط الإصلاح بالتربية حيث يُعد من أبرز مرادفاتها اللغوية، وهو مهمة المربين المصلحين عبر الزمن؛ ولذلك يركز البحث اهتمامه ببعدين محوريين في عملية الإصلاح، وهما مترابطين يؤسس أولهما لحصول الثاني؛ فالأول خاص معنيّ بإصلاح ذات الفرد، والثاني عام معنيّ بإصلاح الأسرة.

وتظهر أهمية البحث تفصيلاً من خلال الآتي:

-الإصلاح أحد أهم مقاصد الأنبياء عليهم السلام، والصالحون من بعدهم على نهجهم، والبحث يسهم في ترسيخ أهمية اقتفاء أثرهم والتأسي بهم، فالله تعالى لا يضيع أجر المصلحين، قال تعالى: (إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) [الأعراف: ١٧٠].

-إبرازها لأعمال الخير المؤثرة في إصلاح الفرد وما يترتب عليها، حيث عملية إصلاحه تؤتي ثمارها داخل الأسرة، وصلاح الأسرة بمجموع صلاح أفرادها، وهي تمثل النواة الأساسية للمجتمع فصلاحها ينعكس على إصلاحه.

-تقديم مقومات إصلاح الأسرة للمهتمين بشؤون التربية والمجتمع والجهات والمراكز الخاصة والحكومية العاملة في هذا المجال، وتقريبها كمادة تسهم في تصميم محتوى البرامج واللقاءات والأنشطة والمناهج الموجهة لإصلاح الأسرة بكافة أفرادها.

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج الوصفي لدراسة الحديث الشريف واستنباط مستويات الإصلاح الذاتي منه، وكذلك حصر الآيات المتعلقة بإصلاح الفرد، ودراستها من خلال كتب التفسير واستنباط أعمال الخير المؤثرة في الإصلاح الذاتي ومن ثم إبراز آثار حصول الإصلاح الذاتي، ويلي ذلك حصر الآيات المتعلقة بدور عمل الخير في تحقيق الإصلاح الأسري واستنباط مقوماته واستخلاص الأثر المترتب على توفرها.

مصطلحات البحث:

تُعرف الباحثة عمل الخير بأنه: فعل كل ما يرتضيه الله تعالى من أبواب المعروف، والدعوة إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي.

وتُعرف الإصلاح الذاتي للفرد بأنه: تقويم ما فسد من الفرد على ما تدعو إليه الحكمة.

كما تُعرف الإصلاح الأسري بأنه: تقويم ما فسد من أفراد الأسرة على ما تدعو إليه الحكمة، وتُعرف مقومات الإصلاح الأسري بأنها: أعمال الخير التي تؤسس لإصلاح الأسرة وبتوافرها تتم عملية الإصلاح وتؤتي ثمارها داخلها.

حدود البحث:

يتحدد موضوع البحث ببيان أثر عمل الخير في الإصلاح الذاتي وتحقيق مقومات الإصلاح الأسري؛ ولاستنباط مستويات الإصلاح الفردي انطلق من الحديث الجامع الذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ" (النيسابوري، د.ت، ج. ٤، ص. ٢٠٨٧، رقم الحديث: ٢٧٢٠).

كما ركز البحث على الآيات التي يرتبط فيها عمل الخير بالإصلاح واقتصر على دراسة مفردة (صلح) بكافة اشتقاقاتها في القرآن الكريم التي بلغت ٣٧ موضعًا، بالإضافة للمواضع التي وردت بها مفردة (إصلاح)، واستنبط منها الدلالات المختصة بالإصلاح الفردي والأسري، كما استعان ببعض الآيات الأخرى في مواضعها التي احتاج لها.

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الدراسات وأوراق العمل تناولت موضوع عمل الخير والإصلاح بشكل عام أو اختصت بأحد جوانبهما، ومنها:

–دراسة ياسين (٢٠٠٦) بعنوان: الإصلاح الأسري من منظور قرآني، استهدفت الدراسة إبراز دور القرآن في علاج القضايا المعاصرة والمستجدة، وإيجاد الحلول المناسبة لها. وتحدث في الدراسة عن حقيقة الإصلاح وأنواعه في القرآن، وتكوين الأسرة، والإصلاح التربوي لحماية الأسرة من الفساد، والدور الإصلاحي لأفراد الأسرة، ووسائل إصلاح الأخطاء الأسرية. وانتهج خطوات التفسير الموضوعي، فجاءت الآيات الكريمة لتوضح الأساليب التي يتم انتهاجها لمعالجة أحوال الفساد المختلفة، إضافة إلى الأدوار التي ينبغي لكل فرد من أفراد الأسرة انتهاجها كي يتحقق الصلاح في الأسرة.

–دراسة الكيلاني (٢٠٠٨) بعنوان: منهج الإصلاح في القرآن، لم تنص هذه الدراسة على أهدافها ولا منهجها ولا نتائجها، غير أنها بينت بشكل عام ملامح الإصلاح على شخصية المسلم، وتحدثت عن الإصلاح بين الناس، وختمت بدور الأنبياء في الإصلاح.

–دراسة النشمي (٢٠١٧) بعنوان: إصلاح الفرد من خلال القرآن الكريم دراسة موضوعية تحليلية، استهدفت الدراسة التعرف على الآيات القرآنية التي بينت عوامل الإصلاح، والمنهج العام للقرآن في الإصلاح، ومعرفة الوسائل القرآنية المطروحة لإصلاح مشكلات الفرد الروحية، والعقلية، والجسدية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها. وكذلك استهدفت إصلاح الفرد من خلال معرفة القوانين القرآنية التي ينبغي أن يتحلى بها الفرد. واتبع المنهج الاستقرائي والتحليلي، وكان من نتائج الدراسة: للإصلاح في القرآن الكريم فقه لابد أن يفهم ويسمع، ومسلك يجب أن يتبع، والإصلاح وسيلة لحفظ الضرورات الخمس، وإصلاح الفرد أصل شرعي من أصول الإسلام دعا إليه القرآن؛ فإصلاح الفرد إصلاح للمجتمع.

–دراسة مزيد (٢٠١٨) بعنوان: عمل الخيرات في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، استهدفت الدراسة بيان أهمية موضوع عمل الخير، وإبرازه كدراسة قرآنية علمية موضوعية من جميع جوانبه، وقد اعتمد الباحث قواعد التفسير الموضوعي، وتوصل لعدد من النتائج منها: أهمية العمل الخيري في حياة المؤمن، وبيان الأجر العظيم الذي أعده الله تعالى

لعاملي الخير. اهتم الباحث ببيان مكانة العمل الخيري، وأنواعه، وشروطه، ومحفزاته، ومعيقاته، ومجالاته، وآثارها على الفرد والمجتمع، ونماذج تطبيقية من القرآن.

–دراسة الشربيني (٢٠١٩) بعنوان: العمل الخيري وأثره في الإصلاح الاجتماعي، واستهدفت الدراسة توضيح مفهوم العمل الخيري وأهميته، وبيان مفهوم الإصلاح الاجتماعي وأهميته وإبراز مدى اهتمام الإسلام بالإصلاح الاجتماعي، ثم التعرف على ألوان من آثار العمل الخيري في الإصلاح الاجتماعي. ومن نتائج الدراسة: أن إصلاح المجتمعات مهمة الأنبياء والمرسلين، ويقوم على التعليم وإصلاح الفكر وتربية العقل وتزكية النفوس، ويحمل المهمة من بعدهم المصلحون المخلصون، وأن مجالات الإصلاح الاجتماعي متعددة.

وقد ركز الباحث في بحثه على عدد من مجالات الإصلاح المجتمعي المذكورة في القرآن مثل إصلاح ذات البين، والإصلاح بين الزوجين، والإصلاح بين الطائفتين المتنازعتين وغيرها، وبين دور المصلح في كل منها.

–دراسة التجاني (٢٠١٩) بعنوان: أثر العمل الخيري في الإصلاح الأسري والاجتماعي، واستهدفت الدراسة بيان دور العمل الخيري في الإصلاح الأسري والاجتماعي، من خلال بيان دور منظمات العمل الخيري في السودان في الإصلاح الأسري في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والقانونية. ومن نتائج الدراسة: للإصلاح الأسري معنى واسع يشمل كل جهد يحقق استقرار الأسرة، وتتعدد مداخل الإصلاح الأسري وتستخدم حسب ملاءمتها للمجتمع.

وقد ركزت الدراسة على الإصلاح الأسري في الجوانب: الاقتصادية والاجتماعية والقانونية. كما اعتمدت في الجانب الاجتماعي على دراسة دور بعض المنظمات الخيرية في السودان.

–دراسة السامرائي (٢٠١٩) بعنوان: العمل الخيري وأثره في الإصلاح الأسري والاجتماعي، ومن أهداف الدراسة إيجاد رؤية واضحة لمعرفة العمل الخيري من الأسس الشرعية له، والتركيز على أهمية العمل الخيري في الإصلاح بين الناس وبين الأسرة لترك الخلافات والبغضاء. ومن نتائج الدراسة: أن مشروعية العمل الخيري ثابتة في القرآن والسنة، وأن للعمل الخيري دور في القضاء على كثير من المشاكل الأسرية والمجتمعية.

اهتمت هذه الدراسة بالجانب التأصيلي من القرآن والسنة، والجانب المفهومي للإصلاح الأسري ودوره في إحداث التكافل الاجتماعي، وتحدثت عن دور العمل الخيري في الإصلاح بين الناس والإصلاح بين الزوجين تبعاً لذلك، ثم تحدث بشكل مجمل وعام عن دور الإصلاح الأسري في علاج الظواهر السلبية في الأسرة.

–دراسة السعيد (٢٠١٩) بعنوان: العمل الخيري وأثره في الإصلاح الأسري في العصر الحاضر، ومن أهداف الدراسة التعرف على مفهوم العمل الخيري في ضوء النصوص الشرعية، وإثبات اهتمام الإسلام بالعمل الخيري الخاص بالإصلاح الأسري، والتعرف على إسهامه في ذلك، ووضع طرق للنهوض بالعمل الخيري الخاص بالإصلاح الأسري في الوقت الحاضر. ومن نتائج الدراسة: أبانت مدى حاجة الأسرة إلى العمل الخيري –إفادة وممارسة– في العصر الحاضر، وأن العمل الخيري من أهم وسائل وطرق علاج مشكلات الأسرة المعاصرة.

وقد عرضت الدراسة مجالات العمل الخيري بشكل عام، كما ركزت على المشكلات المعاصرة التي تطرأ على الأسرة كالعنف والفقر والطلاق والعنوسة والشقاق بين الزوجين، وتطرق لحلها بشكل عام، كما عرض لأثر العمل الخيري في الإصلاح الأسري ولكن بشكل عام لم يحصره بنصوص القرآن السنة، وكذلك ركز على إسهام الجمعيات والمؤسسات الخيرية في دعم الأسر وحل مشاكلها.

–دراسة عبد الحي (٢٠١٩) بعنوان: العمل الخيري ودوره في الإصلاح الأسري والمجتمعي، واستهدفت الدراسة تبيين مفهوم العمل الخيري والفهم المقاصدي له، وسلطت الضوء على الدور الذي يلعبه عمل الخير –كما عبر الباحث– في إصلاح الفرد والأسرة، وقد اتبع المنهج الوصفي التحليلي ثم الاستقرائي. ومن نتائجها: أن عمل الخير عمل خال من الربح وأن فاعله يؤثر غيره على نفسه لنيل رضا الله سبحانه وتعالى.

تناولت الدراسة دور العمل الخيري في الإصلاح الأسري بشكل عام دون الربط بالآيات والأحاديث الوارد فيها لفظ الخير والإصلاح، واقتصرت على ما تقدمه الجمعيات والمنظمات والمؤسسات التطوعية من برامج ثقافية ودعوية وخدمية لإصلاح مشاكل الأسرة والمجتمع. فهي تركز على الإصلاح الذي يحصل للفرد والأسرة من خارجها من خلال مؤسسات العمل الخيري المجتمعية،

–دراسة أبو كريم (٢٠١٩) بعنوان: العمل الخيري وأثره في الإصلاح الأسري والاجتماعي، ومن أهداف الدراسة تأكيد العلاقة بين لعمل الخيري والإصلاح، وحث العاملين في المجال الخيري على استغلال الطاقات وبذل الجهد للوصول للأفضل، ووضع الحلول للمعوقات التي تعرقل مسيرة العمل الخيري. ومن نتائجها: أن لعمل الخير أثر بارز في حل كثير من مشاكل الأسرة وفي علاج وإصلاح المجتمع بكافة أطيافه، وأن للعمل الخيري دور في تخفيض كلفة الإنتاج وتخفيض نفقات الحكومة.

اهتمت الدراسة بتأصيل العمل الخيري واستعرضت الآيات والأحاديث المتعلقة به، وتناولت بعض مظاهره وعددت مجالاته ومعوقاته المجتمعية المعاصرة، وذكرت عددًا من الآثار لعمل الخير على فاعله من القرآن والسنة، ثم تطرقت الدراسة لأثر عمل الخير على المجتمع المعاصر وبعض القصص في هذا الجانب.

وتعقيبًا على الدراسات السابقة يمكن ملاحظة أن دراسة ياسين (٢٠٠٦) والكيلاني (٢٠٠٨) والنشمي (٢٠١٧) قد تناولت منهج القرآن في الإصلاح سواء للفرد أو للأسرة وفق أهداف كل دراسة، أما دراسة مزيد (٢٠١٨) فقد تناولت عمل الخيرات، وعليه لم تستهدف أيًا منها الربط بين عمل الخير والإصلاح؛ بينما تستهدف الدراسة الحالية الربط بين عمل الخير والإصلاح الذاتي للفرد مع إبراز مقومات الإصلاح الأسري وبيان آثار توفرها في الأسرة من خلال دراسة الحديث النبوي والآيات القرآنية.

أما الدراسات التي تتماس مع الدراسة الحالية بربطها بين الإصلاح والعمل الخيري وهي: دراسة الشربيني (٢٠١٩) والتجاني (٢٠١٩) والسامرائي (٢٠١٩) والسعيد (٢٠١٩) وعبد الحي (٢٠١٩) وأبو كريم (٢٠١٩) فرغم اختلاف أهدافها وحدودها على وجه العموم عن الدراسة الحالية إلا أن بعض تلك الدراسات تتقاطع معها في عرض آثار عمل الخير على فاعله والتي أُستدل عليها من الآيات بشكل عام دون التقيد بالآيات التي تربط بين لفظ عمل الخير والإصلاح، كما أن بعضها تحدث عن الإصلاح الأسري بمداخل مختلفة عن الدراسة الحالية؛ بينما تؤسس الدراسة الحالية لمستويات الإصلاح الفردي من الحديث النبوي، يلي ذلك حصر الآيات التي تربط بين أعمال الخير والإصلاح ودراسة أثرها على الفرد ثم تتناول تأثير عمل الخير على تحقيق مقومات الإصلاح الأسري من الآيات ذات العلاقة والآثار المترتبة على توفرها.

ويمكن القول إن تنوع الدراسات حول عمل الخير والإصلاح وتعدد مداخلها يدل على أن الحديث عنهما منفردين أو مرتبطين: باب واسع يتسع لغيرها، وسيضل يحتاج لدراسات معمقة في كافة أبعاده.

الإطار النظري

عمل الخير والإصلاح

سوف تتناول الباحثة مفهوم عمل الخير، ومفهوم الصلاح والإصلاح، بغرض توضيح المراد منها وتجلية المعنى المقصود للقارئ، ثم تختم ببيان العلاقة بين عمل الخير والإصلاح كما سيأتي:

أولاً: مفهوم عمل الخير:

يُعرف الشربيني (٢٠١٩) عمل الخير بأنه: "بذل المعروف للغير بلا مقابل دنيوي مادي أو معنوي، سوى قصد الأجر والثواب من الله عز وجل في الآخرة" (ج. ١، ص. ٢١٠). وللوصول إلى تعريف اصطلاحي لـ(عمل الخير) يوافق هدف البحث يحسُن البدء بتعريف جُزأَي هذا المركب:

فأصل كلمة عَمَل في اللغة: العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يُفعل (ابن فارس، ١٣٩٩، ج. ٤، ص. ١٤٥)، ويرتبط المعنى اللغوي للعمل بالفعل حيث أصل كلمة فَعَل في اللغة: الفاء والعين واللام أصل واحد صحيح يدل على إحداث شيء من عمل وغيره (ابن فارس، ١٣٩٩، ج. ٤، ص. ٥١١)، فالعمل إيجاد الأثر في الشيء (العسكري، د.ت، ص. ١٣٤).

وفي القرآن الكريم اقترن لفظ: (عمل) بلفظ: (الخير) في قوله تعالى: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضرًا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا) [آل عمران: ٣٠]، كما جاء الحث على عمل الخير في مواضع كثيرة بتسمية عدد من أعمال وأفعال الخير مقترنة بالإصلاح سيأتي الاستشهاد بها في المبحث الثاني، ومنها قوله تعالى: (إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) [البقرة:١٦٠].

وقد ذكر السعدي (١٤٢٠) في تفسيره لقول الله تعالى: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللهِ

فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: ١١٤]: "فهذه الأشياء حيثما فعلت، فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء" (ص. ٢٠٢).

وأما لفظ (الخير): فأصلها في اللغة: خَيَرَ، حيث الْخَاءُ وَالْيَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلُهُ الْعَطْفُ وَالْمَيْلُ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ. فَالْخَيْرُ: خِلَافُ الشَّرِّ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَمِيلُ إِلَيْهِ وَيَعْطِفُ عَلَى صَاحِبِهِ (ابن فارس، ١٣٩٩، ج. ٢، ص. ٢٣٢).

"وَالْخَيْر: وجدان كل شَيْء كمالاته اللائقة، وَالشَّر مَا بِهِ فقدان ذَلِك. وَالْخَيْر يعم الدُّعَاء إِلَى مَا فِيهِ صَلَاح ديني أَو دُنْيَوِيّ" (العسكري، د.ت، ص. ٤٢٣).

والخَيْر: مَا يَرْغَب فِيهِ الكُلُّ، كالعَقْلِ مَثَلاً والعَدْلِ والفَضْلِ والشَّيْءِ النَّافِع (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢، ج. ١، ص. ٣٠٠).

وقد عرض الطبري (١٤٢٠، ج. ٢، ص. ٥٠٥) لمفهوم الخير عند تفسيره لقول الله تعالى: (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) [البقرة: ١١٠]، فقال: (الخير): هو العمل الذي يرضاه الله. وقال ابن أبي حاتم (د.ت، ج. ٤، ص. ٥): الخير: النفع الحسن وما يؤدي إليه.

وفي معنى الخير في قوله تعالى: (وافعلوا الخير) [الحج: ٧٧]، قال ابن الجوزي (١٤٢٢، ج. ٣، ص. ٢٥١): وافعلوا الخير يريد: أبواب المعروف.

وفي معنى الخير في قوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) [آل عمران: ١٠٤]، قال السعدي (١٤٢٠): "اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد عن سخطه" (ص. ١٤٢).

وعليه يمكن تعريف (الخير) بأنه: كل ما يرتضيه الله تعالى من أبواب المعروف، والدعوة إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي.

وبناء على التعريف بمعنى مفردتي عمل وخير؛ يمكن تعريف (عمل الخير) بأنه: فعل كل ما يرتضيه الله تعالى من أبواب المعروف، والدعوة إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي.

أما مجموع أعمال الخير، فقد وردت في القرآن بلفظ: الخيرات. قال الله تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) [البقرة: ١٤٨]، قيل: هي جمع خير على معنى ذوات الخير (الحميري، ١٤٢٠، ج. ٣، ص. ١٩٦٣).

ويُطلق الخير في القرآن ويُراد به عددًا من المعاني، نذكر منها ما يتعلق بالبحث الحالي وهو:

يأتي بمعنى: الصلاح (الكفوي، د.ت، ص. ٤٢٤)، كما في قوله تعالى: (إِن علمْتُم فيهم خيرًا) [النور: ٣٣].

ومن معانيه أيضاً الإصلاح (الكفوي، د.ت، ص. ٤٢٣)، كما في قوله تعالى: (يدعونَ إِلَى الْخَيْر) [آل عمران: ١٠٤].

ثانياً: مفهوم الصلاح والإصلاح:

أصل الصلاح: استقامة الحال، فهو فاسد وصالح (الهروي، ١٤٢٠، ج. ١٤، ص. ١٣)، والصَلاحُ: ضدّ الفساد، والاصلاح: نقيض الإفْساد (الجوهري، ١٤٠٧، ج. ١، ص. ٣٨٣/ ٣٨٤). وفي قوله تَعَالَى: (ونبِياً من الصالِحِين) [آل عمران: ٣٩]، قَالَ الزّجاج: "الصالحُ: الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الله عز وَجل مَا افْترض عَلَيْهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى النَّاس حُقُوقهم" (الزجاج، ١٤٠٨، ج. ٥، ص. ١٧٩).

وفي قوله تعالى: (كلٌ من الصالحين) [الأنعام: ٨٥]، قال الألوسي: الصلاح "الإتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي" (الألوسي، ١٤١٥، ج. ٤، ص. ٢٠٣).

وَفي قَوله تَعَالَى: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ المصلِحينَ)، المُصْلحُ: "الْمُقِيم على الْإِيمَان الْمُؤَدِّي فَرَائِضه اعتقادًا وَعَملاً. وَقد أَصْلَحه الله، وَأَصْلح الشَّيْء بعد فَسَاد، أَقَامَهُ" (ابن سيده، ١٤٢١، ج. ٣، ص. ١٥٢).

والإصلاح تقويم الأمر على ما تدعو إليه الحكمة (العسكري، د.ت، ص. ١٢٦). وعرفه البقاعي (١٤١٥) بأنه: "استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع" (ج. ١٠، ص. ١٩٣).

فإذا كان الصلاح وصف للحال المستقيمة والإصلاح فعل ما يلزم لتقويم ما فسد –أي أنه يكون بعد فساد–، فإنه يمكن القول: أن الصلاح في ذات الفرد: استقامة حاله ودوام إقامته على الإيمان بالله وآداء حقوق الناس، وهو من المسلم نحو نفسه –في حال فساد حاله– أو نحو غيره من الناس –في حال فساد حالهم–: إصلاح، بمعنى: تقويم ما فسد منه –فردًا– أو منهم –كأفراد أسرة– على ما تدعو إليه الحكمة.

ثالثًا: العلاقة بين عمل الخير والإصلاح:

ينطلق البحث من التسليم بأن عمل الخير من أهم مداخل الإصلاح على المستوى الذاتي والأسري، حيث أن المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد وضوح الدلالة على ذلك كما في قول الله تعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: ٩٠]، والخيرات جمع خير –كما سبق بيانه–، جاء في تفسيرها: "كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا، والعمل بما يقرّبهم إلينا" (الطبري ،١٤٢٠، ج. ١٢، ص. ٣٨٩). وذُكر في معنى المسارعة: أنها مستعارة للحرص وصرف الهمة والجِدّ للخيرات، أي لفعلها (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج. ١٧، ص. ١٣٦). فيظهر من الآية أن إصلاح الله تعالى لزوجة زكريا عليه السلام وهبتهم يحيى عليه السلام جاء بعد مسارعته وأهله بحرص وهمة لعمل الخير بأنواعه مع دعائهم الله تعالى وخشيتهم له سبحانه.

وعليه فأعمال الخير مُقدِمة، يترتب عليها نتيجة عظيمة وهي: حصول الصلاح والإصلاح للإنسان في ذاته أولاً ومن ثم أسرته.

مستويات الإصلاح الذاتي وأعمال الخير المؤثرة فيها

إصلاح الفرد لذاته كما تبين من عرض المفهوم في المبحث الأول هو: تقويم ما فسد من الفرد على ما تدعو إليه الحكمة، وإصلاح الفرد هو الأساس الذي يبنى عليه إصلاح الأسرة؛ حيث إطلاق وصف الصلاح على أسرة ما؛ لا ينتظم إلا بصلاح أفرادها جميعهم أو أغلبهم وفق ما يقتضيه المنطق.

وبناء على ما سبق فالمبحث الحالي يهتم بإبراز مستويات الإصلاح الذاتي للفرد، ومن ثم دراسة أعمال الخير المؤثرة في هذا الإصلاح من خلال الآيات الكريمة؛ وذلك رغبة في إبراز تنوع أعمال الخير المؤثرة في حصول الإصلاح أمام الفرد.

أولًا: مستويات الإصلاح الذاتي:

يُقصد بمستويات الإصلاح الذاتي، تلك المتعلقة بإصلاح الفرد المسلم، والتي تتبين من حديث النبي ﷺ الذي يرويه مسلم: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو قَطَنٍ عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ الْقُطَعِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونِ، عَنْ قُدَامَةَ بْنِ مُوسَى، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ

لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ" (النيسابوري، د.ت، ج. ٤، ص. ٢٠٨٧، رقم الحديث: ٢٧٢٠). ينقل (المناوي، ١٤١٥، ج. ٢، ص. ١٧٢) في شرح هذا الحديث: أنه عليه الصلاة والسلام قد جمع في هذه الثلاث –وهي صلاح الدين والدنيا والمعاد–: أصول مكارم الأخلاق التي بعث لإتمامها، فاستقى في ذلك الوصف الوجيز صلاح تلك الجوامع الثلاث.

لقد سنَّ النبي ﷺ للمسلم أن يدعو الله سبحانه وتعالى بإصلاح ثلاثة جوانب من حياته، ويمكن القول إن إصلاح أول هذه المستويات –وهو الدين– يؤسس ويسبق إصلاح المستويين الآخرَين –وهما الدنيا والآخرة– وأن عليها مدار صلاح حياة الإنسان كلها، وأن أي إصلاح لأمر من أموره لا يخرج عن كونه متضمنًا فيها، وفيما يلي بيان هذه المستويات المستنبطة من الحديث مرتبة وفق ترتيب ورودها في الحديث:

١ –إصلاح الدين:

إصلاح الدين هو أول مستوىً من مستويات الإصلاح التي يجب أن ينصرف إليه اهتمام المُصلح لنفسه، فالدين كما وصفه النبي ﷺ في الحديث السابق هو عِصمة لأمر المسلم، يقول عليه السلام: (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي)، بدأ بالأهم وهو الدين (ابن هبيرة، ١٤١٧، ج. ٨، ص. ٨١)، ومعنى "العصمة: المنع، وعصمة أمري أي: المانع لكل شأن من شأني في الدنيا والآخرة عن خلاف ما ترضاه" (الأمير الصنعاني، ١٤٣٢، ج. ٣، ص. ١٥٢). وذكر (ابن الجوزي، ١٤١٨، ج. ١، ص. ١٠٢٦) في معنى عصمة أمري: أي به أستمسك وعليه في نجاتي أعوّل. فمن فسد دينه فسدت جميع أموره وخاب وخسر في دنياه وآخرته (المناوي، ١٤١٥، ج. ٢، ص. ١٧٢).

وصلاح الدين يكون بالاعتصام بحبل الله تعالى (الصديقي، ١٤٢٥، ج. ٧، ص. ٢٧٩).

٢ –إصلاح الدنيا:

إصلاح الدنيا هو المستوى التالي لإصلاح الدين، حيث قال النبي ﷺ: (وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي)، أي: حياتي فإنه لا يتم صلاح الدين المطلوب أولًا إلا بصلاح الدنيا (الأمير الصنعاني، ١٤٣٢، ج. ٣، ص. ١٥٣).

وصلاح الدنيا يكون بإعطاء الكفاف فيما يحتاج إليه، وبأن يكون حلالاً ومعيناً على طاعة الله (الصديقي، ١٤٢٥، ج. ٧، ص. ٢٧٩).

٣ -إصلاح الآخرة:

إصلاح الآخرة هو المستوى المستهدف من صلاح الدين والدنيا، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم سبب الاهتمام بدعاء الله إصلاح الآخرة؛ وهو أن معاد الإنسان صائرٌ إليها، قال عليه السلام: (وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي)، أي "عَوْدي إلى لقائك، والمراد من صلاح الدارين صلاح أمورهما التي بها تطيب الحياة والممات، والتحقيق أنه إذا صلح الدين فقد صلح حال الدارين" (الأمير الصنعاني، ١٤٣٢، ٣، ص. ١٥٣).

وصلاح الآخرة يكون بالتوفيق للعبادة والإخلاص في الطاعة وحسن الخاتمة (الصديقي، ١٤٢٥، ج. ٧، ص. ٢٧٩).

وقد ختم النبي ﷺ هذا الدعاء الجامع بقوله: (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير) أي أزداد فيها من الأعمال الصالحة، (واجعل الموت راحة لي من كل شر) اجعله خيرًا من الحياة التي لا تخلو عن شر؛ فلا يصيبني شر عذاب القبر وفتنته ولا شر النار (الأمير الصنعاني، ١٤٣٢، ج. ٣، ص. ١٥٣).

ومما سبق يتبين أن هذا الحديث العظيم قد تضمن كثيرًا من الدروس التربوية التي يجدر بالمسلم الاستفادة منها لتحقيق صلاح ذاته، منها:

-في الحديث دعاء جامع لأنواع الخير التي يرجوها المسلم كلها في الدين والدنيا والآخرة، حريٌّ بكل مسلم أن يربي نفسه ومن كلفه الله بأمرهم ألا يغفلوا عنه ويلتزموه.

-العناية بإصلاح الدين تأتي في المقام الأول؛ لأن الدين عصمة لأمر المؤمن فيكون كله في مرضاة الله.

-على المسلم أن يستشعر مسؤولية صلاح ذاته وانعكاس ذلك على إصلاح أسرته.

ثانيًا: أعمال الخير المؤثرة في إصلاح الفرد:

يقدم البحث تحت هذا العنوان بعض أعمال الخير التي تم جمعها بعد التأمل في آيات الكتاب العزيز، حيث عمل الفرد لها يؤثر في حصول إصلاحه لذاته بكافة مستويات الإصلاح الثلاثة التي سبق ذكرها، وحريّ بكل من يرغب إصلاح نفسه معرفتها والحرص على عملها. وهذه الأعمال يجمعها وصف واحد وهو أن تكون صالحة يرضاها الله تعالى، كما في قوله:

(وأن أعمل صالحاً ترضاه) [الأحقاف: ١٥]، ففي معناها يقول (السعدي، ١٤٢٠، ص. ٧٨١): "بأن يكون جامعًا لما يصلحه سالمًا مما يفسده، فهذا العمل الذي يرضاه الله ويقبله ويثيب عليه".

بعد تتبع مفردة صلح بكافة اشتقاقاتها في القرآن الكريم تم ترتيب عرض أعمال الخير وفق ترتيب ورود الآيات في المصحف، بحيث يتم الاستشهاد بآية على كل عمل، مع إضافة غيرها إذا تطلب العرض مزيدًا من التوضيح. وقد جدت الباحثة ارتباط اشتقاق أصلح بكثير من أعمال الخير، وعليه تمت دراسة الآيات التي اجتمع فيها عمل خير مع اشتقاق أصلح واختصت بإصلاح الفرد استنادًا لما جاء في كتب التفسير.

-التوبة:

من الأعمال التي تؤثر في حصول الإصلاح الذاتي للفرد: التوبة، وقد جاء تأكيد أهمية حصول التوبة من الإنسان لتكون متقدمة على حصول الإصلاح في عديد من الآيات، منها قوله تعالى: (إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) [البقرة:١٦٠]، وهي في معناها العام بمعنى الرجوع، كما بين ذلك (ابن كثير، ١٤٢٠، ج. ١، ص. ٤٧٣) في تفسير الآية، قال: أي رجعوا عما كانوا فيه وأصلحوا أعمالهم وأحوالهم وبينوا للناس ما كانوا كتموه.

ومن الآيات الدالة أيضًا على أثر التوبة في حصول الإصلاح الذاتي قوله تعالى: (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) [المائدة:٣٩]، ومعنى التوبة من بعد الظلم: التوبة إليه مما كان عليه من معصيته (الطبري، ١٤٢٠، ج. ١٠، ص. ٢٩٩).

كما ورد تأكيد تقديم التوبة عند طلب إصلاح الذرية في صيغة الدعاء الواردة في قوله تعالى: (وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين) [الأحقاف: ١٥].

-بيان ما جاء عن الله:

من الأعمال التي تؤثر في حصول الإصلاح الذاتي للفرد: بيان ما جاء عن الله، حيث يرتبط هذا البيان بحصول الإصلاح الذاتي كما في قول الله تعالى: (إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) [البقرة:١٦٠]، قال قتادة: "وبينوا الذي جاءهم من الله، فلم يكتموه ولم يجحدوا به" (الطبري، ١٤٢٠، ج. ٢، ص. ٧٣٩)، يقول (ابن

عاشور، ١٩٨٤، ج. ٢، ص. ٧١): "لأن شرط كل توبة أن يتدارك التائب ما يمكن تداركه مما أضاعه بفعله الذي تاب منه، ولعل عطف (وبينوا) على (أصلحوا) عطف تفسير".

-الاعتصام بالله:

من الأعمال التي تؤثر في حصول الإصلاح الذاتي للفرد: الاعتصام بالله، جاء هذا الارتباط في قول الله تعالى: (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرًا عظيمًا) [النساء:١٤٦]، ويقصد به: التمسك بعهد الله وميثاقه الذي عهد في كتابه إلى خلقه، من طاعته وترك معصيته (الطبري، ١٤٢٠، ٩، ص. ٣٤١)، وقال بعض المفسرين: الاعتصام هو الثقة بالله (ابن أبي حاتم، د. ت، ج. ٤، ص. ١٠٩٩).

-إخلاص الدين لله:

من الأعمال التي تؤثر في حصول الإصلاح الذاتي للفرد: إخلاص الدين لله، كما جاء في قوله تعالى: (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرًا عظيمًا) [النساء:١٤٦]، والمقصود به كما ذكر (الطبري، ١٤٢٠، ج. ٩، ٣٤١): "وأخلصوا طاعتهم وأعمالهم التي يعملونها لله فأرادوه بها ولم يعملوها رئاء الناس ولا على شك منهم في دينهم".

وقد ذكر (القرطبي، ١٤٢٠، ج. ١٦، ص. ١٩٥) في تفسير قوله تعالى: (وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين) [الأحقاف: ١٥]، (وإني من المسلمين): "أي المخلصين بالتوحيد".

يقول (السعدي، ١٤٢٠، ج. ١، ص. ٢١١) تعليقًا على الآية الكريمة التي شملت الاعتصام والإخلاص: "وتأمل كيف خص الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله (وأصلحوا)؛ لأن الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح؛ لشدة الحاجة إليهما...فذكرهما؛ لفضلهما وتوقف الأعمال الظاهرة والباطنة عليهما".

-الإيمان:

من الأعمال التي تؤثر في حصول الإصلاح الذاتي للفرد: الإيمان، وهو شرط متقدم، يترتب على وجوده حصول الإصلاح، قال تعالى: (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [الأنعام:٤٨]، من آمن يعني من صدق (البلخي، ١٤٢٤، ١، ص. ٣٤٧). وقال

(الطبري، ١٤٢٠، ج. ١١، ٣٦٩): آمن: صدق من أرسلنا إليه من رسلنا إنذارهم إياه وقبل منهم ما جاؤوا به من عند الله".

وفي مثل هذه الآيات التي يقترن فيها الإيمان بالإصلاح؛ فإن عدد من المفسرين منهم: (ابن أبي حاتم، د. ت، ج. ٥، ص. ١٤٧٣) و(البلخي، ١٤٢٤، ج. ١، ص. ٣٤٧)، اتفقوا على أن أصلح تأتي في الآية بمعنى إصلاح العمل يقول (ابن كثير، ١٤٢٠، ج. ٣، ص. ٢٥٨): آمن قلبه بما جاء به الرسل وأصلح عمله باتباعهم، "فالإيمان عمل القلب والإصلاح عمل الجسد" (الرازي، ج. ١٢، ص. ٥٣٧).

-التقوى:

من الأعمال التي تؤثر في حصول الإصلاح الذاتي للفرد: التقوى، فهي عمل ممهد يرتبط بوجوده حصول الإصلاح، قال تعالى: (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [الأعراف: ٣٥]، وهي كما قال (الطبري، ١٤٢٠، ج. ١٢، ص. ٤٠٦): اتقى الله بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه على لسان رسوله. و"التقوى ترك المحرمات وفعل الطاعات" (ابن كثير، ١٤٢٠، ج. ٣، ص. ٤٠٩).

-العفو:

من الأعمال التي تؤثر في حصول الإصلاح الذاتي للفرد: العفو، قال تعالى: (وجزاؤا سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله) [الشورى:٤٠]، والعفو هنا كما ذكر البلخي: بمعنى ترك الاقتصاص، وقال: وأصلح العمل: كأن العفو من الأعمال الصالحة (البلخي، ١٤٢٤، ج. ٣، ص. ١٨٠)؛ لأنه أصلح ما بينه وبين المعفو عنه وترك الانتصار عليه مع قدرته، قال (البقاعي، ١٤١٥، ج. ٦، ص. ٦٤١): وأصلح أي أوقع الإصلاح بين الناس بالعفو والإصلاح لنفسه ليصلح الله ما بينه وبين الناس، فيكون بذلك منتصرًا من نفسه لنفسه.

وكما ظهر من مستويات الإصلاح في المبحث السابق أهمية مستوى إصلاح الدين وكونه الأساس في إصلاح دنيا الإنسان وآخرته، فإن الملاحظ من خلال دراسة الآيات:

–أن أكثر أعمال الخير تكرارًا وارتباطًا بالإصلاح هي التوبة حيث تعدد ورودها في أكثر من سبع آيات.

–أن أكثر هذه الأعمال متعلقة بالقلب، دلالة على أهمية العناية بأعمال القلب وأثرها في عمل الخير والإصلاح الذاتي.

–أهمية مبادرة الفرد بأعمال الخير المذكورة طلبًا لرضا الله، حتى وإن لم يسبقها عمل سيء كالمعصية أو الظلم.

ثالثًا: آثار حصول الإصلاح الذاتي للفرد:

من خلال تأمل الآيات المتعلقة بموضوع الإصلاح الذاتي للفرد برزت آثار لعمل الخير وحصول الإصلاح له، وهي في حقيقتها محفزات ودوافع للاهتمام بإصلاح ذاته؛ مصداقًا لقوله تعالى: (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) [المزمل: ٢٠)، وفضل الله أعظم، (وهو يتولى الصالحين) [الأعراف: ١٩٦]، ومن هذه الآثار:

-توبة الله تعالى على العبد:

كما كانت التوبة من أول وأكثر أعمال الخير ورودًا في الآيات مرتبطة بالإصلاح الذاتي؛ كان أثرها المترتب على الإصلاح عظيماً وهو توبة الله تعالى على العبد، قال تعالى: (إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) [البقرة:١٦٠]، جاء في تفسير (الطبري، ١٤٢٠، ج. ٢، ص. ٧٣٨) لهذه الآية: أن من فعل هذه الصفات وهي: التوبة والإنابة من كتمان ما جاءه من العلم وأصلح حال نفسه وبين الذي علم من وحي الله، فهو من الذين يتوب الله تعالى عليهم، فيجعلهم من أهل الإياب إلى طاعته والإنابة إلى مرضاته. وعن سعيد بن جبير في قوله: (أتوب عليهم) يعني أتجاوز عنهم (السيوطي، ١٤٢٤، ٢، ص. ١٠٦). وفي قوله تعالى: (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) [المائدة:٣٩]، قال (القرطبي، ١٤٢٣، ج. ٦، ص. ١٧٥) في معنى فإن الله يتوب عليه: وتوبة الله على العبد أن يوفقه للتوبة، وقيل: أن تقبل منه التوبة.

-الصفح عمن صلح حاله وتحققت توبته:

جاء بيان هذا الأثر المترتب على حصول الإصلاح الذاتي استدلالاً بعموم الآية الكريمة: (فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابًا رحيمًا) [النساء: ١٦]، فقد بين (الطبري، ١٤٢٠، ج. ٦، ص. ٥٠٦) المقصود بالإعراض في الآية فقال: يقصد به الصفح عمن صلح حاله وعمله بعد أن تحققت منه التوبة.

-الأجر العظيم من الله:

أُستفيد هذا الأثر المترتب على حصول الإصلاح الذاتي من قول الله تعالى: (وجزاؤا سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله) [الشورى:٤٠]، أي جزاؤه على الله (البلخي، ١٤٢٤، ج. ٣، ص. ٢١٢)، وأجره على الله أي المحيط بجميع صفات الكمال فهو يعطيه على حسب ما يقتضيه مفهوم هذا الاسم الأعظم (البقاعي، ١٤١٥، ج. ٦، ص. ٦٤١).

وفي قوله تعالى: (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرًا عظيمًا) [النساء:١٤٦]، وعد الله الذين تابوا من النفاق وأصلحوا العمل والتجأوا إليه وأخلصوا دينهم من شائب الرياء (الواحدي، ١٤١٥، ص. ١٤٣)؛ واستحقوا بذلك أن يكونوا في زمرة المؤمنين يوم القيامة (ابن كثير، ١٤٢٠، ج. ٢، ص. ٤٤٢)؛ وعدهم بالأجر العظيم وهو التخليد في الجنة كما ذكر (ابن عطية، ١٤٢٢، ج. ٢، ص. ١٢٨). وهذه الآية وإن كانت تصف حال المنافقين ممن تاب وأصلح واعتصم بالله وأخلص دينه له، إلا أن حكمها عام كما ذكر (السعدي، ١٤٢٠، ص. ٢١١)، ويمكن الاستدلال بعموم الآية أن من حصل منه تلك الصفات المرتبطة بإصلاح ذاته كان مع المؤمنين، ونال الأجر العظيم من الله تعالى.

-حصول المغفرة والرحمة:

اقترن الوعد بالمغفرة والرحمة معًا وجاء مترتبًا على حصول الإصلاح الذاتي في أكثر من آية، منها قول الله تعالى: (أنه من عمل سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم) [الأنعام:٥٤]، وقوله تعالى: (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) [النحل:١١٩]، فمن تاب وأصلح وجد الأثر وجد الأثر وهو المغفرة والرحمة، قال (الطبري، ١٤٢٠، ج. ١١، ص. ٣٩٢): فإنه غفور رحيم أي فهو له غفور رحيم، والمعنى: إن الله عز ذكره ساتر على من تاب وأناب عن معاصيه إلى طاعته ذنوبه، بالعفو عن عقوبته عليها في الدنيا، وتركه فضيحته بها على رؤوس الأشهاد، رحيم به وبعباده التائبين من ذنوبهم (الطبري، ١٤٢٠، ج. ١٠، ص. ٣٠٠).

وقد ذكرت الرحمة مقترنة بالتوبة في قوله تعالى: (فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابًا رحيمًا) [النساء: ١٦]، وتقدم فيما سبق ذكر توبة الله على من تاب كأثر للإصلاح الذاتي.

-انتفاء الخوف والحزن:

اقترن انتفاء الخوف والحزن معًا وجاء مترتبًا على حصول الإصلاح الذاتي كما في قول الله تعالى: (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [الأنعام:٤٨]، وقوله تعالى: (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [الأعراف: ٣٥]، فمن آمن بالله واليوم الآخر واتقى وحقق إصلاح ذاته –أصلح ما بينه وبين الله (ابن أبي حاتم، د. ت، ج. ٤، ١٢٩٥)– بأن "أصلح أعماله التي كان لها مفسدًا قبل ذلك" (الطبري، ١٤٢٠، ج. ١٢، ص. ٤٠٦)؛ وجد الأثر وهو انتفاء الخوف والحزن عنه.

فمن صدق من أرسلنا إليه من رسلنا، وقبِل منهم ما جاءوا به، وعمل صالحًا في الدنيا؛ فلا خوف عليهم عند قدومهم على ربهم من عقابه وعذابه ولاهم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا (الطبري، ١٤٢٠، ج. ١١، ص. ٣٦٩). قال (البلخي، ١٤٢٤، ج. ١، ص. ٣١٣): فمن اتقى الشرك وأصلح العمل وآمن بالله فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون من الموت.

وقيل: ليس فيه دليل على نفي أهوال يوم القيامة وخوفها على المطيعين لما وصفه الله ورسوله من شدائد القيامة إلا أنه يخففه عن المطيعين وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا والله أعلم (القرطبي، ١٤٢٣، ج. ١، ص. ٣٢٩).

عمل الخير ومقومات الإصلاح الأسري والآثار المترتبة على توفرها.

تُعرّف الأسرة بأنها كيان ينتج عن زواج شرعي بين رجل وامرأة وتتسع لتشمل أطفالهما وتمتد لأصولهما وفروعهما (الصابوني، ٢٠١٨، ص. ٢٧). ويُعرّف الإصلاح الأسري بأنه إصلاح الأسرة بكل أبعادها: الاقتصادي والاجتماعي والقانوني والإصلاح الثقافي والتربوي (الشايب، ص. ١٧٨). وإصلاح الأسرة كما يعرفه (السعيد، ١٤٤١): "تلقف الأسرة والانتقال بها من حالة سيئة فاسدة إلى حالة حسنة صالحة" (ص. ٢٨٥)، أما البحث الحالي فقد عرفه بأنه: تقويم ما فسد من أفراد الأسرة على ما تدعو إليه الحكمة.

يستعرض هذا المبحث مقومات الإصلاح الأسري التي هي في أصلها أعمال خير يقدمها أفراد الأسرة والمصلحون منهم على وجه الخصوص لتؤسس لإصلاح أسرهم، والآثار المترتبة على توفر تلك المقومات داخل الأسرة.

أولاً: أعمال الخير كمقومات للإصلاح الأسري:

التربية عملية إصلاح مرتبطة بوجود الإنسان، وعليه فالإصلاح أحد أدوار الأسرة المهمة والمستمرة، وأهمية إصلاح الأسرة مستمدة من مركزية دورها في المجتمع، كما أن عناية الوالدين بالتربية من أَولى أعمال الخير المؤثرة في إصلاح أبنائهم.

ويُقصد بمقومات الإصلاح الأسري: أعمال الخير التي تؤسس لإصلاح الأسرة وبتوافرها تتم عملية الإصلاح وتؤتي ثمارها داخلها، وتمتد لتشمل الأسرة بمفهومها الواسع الذي يضم الأصول والفروع وما تعارف عليه المجتمع؛ باعتبار أن المُصلح قد يكون أحد الأبوين أو الابن أو الأخ. وتلك الأسرة الصالحة تمثل النواة الأساسية للمجتمع وتؤثر بصلاحها في إصلاحه.

وقد اتجه النظر في هذا المبحث إلى آيات القرآن الكريم كآية سورة هود وعدد من الآيات المتعلقة بالإصلاح الأسري؛ لاستنباط عدد من أعمال الخير كمقومات أساسية لحصول الإصلاح داخل الأسرة، ومن المهم أن تنال هذه المقومات العناية التي تستحقها من قبل الوالدين وأفراد الأسرة عمومًا ليحصل الإصلاح المنشود.

تميزت آية سورة هود باشتمالها جملة واحدة على عدد من أعمال الخير التي تمثل مقومات الإصلاح الأسري، وقد بينت محاولة شعيب عليه السلام إصلاح قومه –ومنهم أهله– ، وهي نموذج إصلاحي ذكره القرآن الكريم للاقتداء والاهتداء به، قال تعالى: "قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" [هود: ٨٨].

ومجيء مجموعة من المقومات في الآية مرتبة يوحي بأهمية اعتناء المصلح بالتدرج في تحقيقها أثناء القيام بعملية الإصلاح، وفيما يلي ذكرها وفق ترتيب الآية:

-التأهل للإصلاح:

وهو مقوم مهم للإصلاح يرتبط بصفات المصلح الأسري وكيفية اختياره، حيث يستفاد من الآيات أن شعيب عليه السلام قد توافرت فيه الأهلية والاستعداد للإصلاح، ووضح لهم

سبب أهليته للإصلاح وبرز من خلال الآيات ما تقدم منه من أعمال الخير، يقول (الطبري، ١٤٢٠، ج. ١٥، ص. ٤٥٣) في تفسيره: "يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال (ورزقني منه رزقًا حسنًا) يعني حلالاً طيبًا، (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)، يقول: وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه، بل لا أفعل إلا ما آمركم به، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه".

فذكر لهم ثلاثة أسباب تؤهله للإصلاح وتجعلهم يقبلون منه نصحه، وقد علم شعيب عليه السلام مكانته عندهم واعترافهم بحلمه ورشده، حيث سبق وأن قالوا له: (إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) [هود: ٨٧]، فذكرهم بذلك، "وتحقيق الكلام فيه أن القوم اعترفوا بأنه حليم رشيد، وذلك يدل على كمال العقل، وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الأصوب الأصلح" (ابن أبي حاتم، د. ت، ج. ١٨، ص. ٣٨).

وعليه فالمصلح معني بأن يؤهل نفسه للإصلاح اقتداء بالآية، فيكون إصلاحه على علم ومعرفة وبصيرة من هدي القرآن والسنة، ويعتني بأن يكون رزقه حلالًا طيبًا، وألا يخالف فعله ما يأمرهم به.

-إرادة الإصلاح:

وهو مقوم متعلق بنية المصلح وإخلاصها لله، مستفاد من قوله تعالى: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ)، ومعنى (إن أريد): ما أريد إلا الإصلاح (البلخي، ١٤٢٤، ج. ٢، ص. ١٢٩)، وعليه فعلى المصلح أن يعتني بنيته فتكون خالصة لله يريد بها الإصلاح.

وهذ المقوم يؤيده آية أخرى في سورة النساء؛ فنية الزوجين ورغبتهم في الإصلاح مؤثرة في صلاح ما بينهما، وصلاح الأسرة عمومًا، كما يظهر من قوله تعالى: (إِن يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) [النساء: ٣٥].

-التصريح بالمقصد وهو الإصلاح:

وهو مقوم مهم للإصلاح، مستفاد من قوله: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ) ويقصد به إعلان شعيب عليه السلام مقصده وهدفه من أمرهم ونهيهم؛ ويفهم من هذا أن تصريح المُصلح بمقصده وهدفه من أي عمل يقوم به في سبيل الإصلاح هو أمر سائغ ومهم ولا ينافي الإخلاص. بل هو مُطَمئن لمن يريد صلاحهم ومؤثر في استجابتهم له، كما أن الآية قد بينت

أن شعيبًا عليه السلام لم يقتصر على إعلان مقصده من الإصلاح فقط؛ بل أسمعهم ووضح لهم مهمته جملة بعد جملة: فوضح لهم أنه على بينة من ربه، وأنه لن يخالف ما أمرهم به، وسبب تأهله للإصلاح، ومقصده، واعتماده على الله.

-بذل الاستطاعة في الإصلاح:

وهذا المقوم مستفاد من قوله: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ)، أي "إنما مرادي إصلاحكم جهدي وطاقتي" (ابن كثير، ١٤٢٠، ج. ٤، ص. ٣٤٤)، فعلى المُصلح بذل السبب في الإصلاح، وعليه في سبيله بذل أقصى القدرة والاستطاعة، ثم أنه بعدها لا تثريب عليه ولا لوم.

-طلب التوفيق من الله:

وهذا المقوم يتعلق بارتباط نجاح عملية الإصلاح باستعانة المصلح بالله، وهو مستفاد من قوله: (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) والمعنى: "وما إصابتي الحق في محاولتي إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله، فإنه هو المعين على ذلك، إلا يعنّي عليه لم أصب الحق فيه" (الطبري،١٤٢٠، ج. ١٥، ص. ٤٥٤)، فتيقن أن التوفيق من الله هو السبيل المعين على إصابة الحق في محاولات الإصلاح.

-التوكل على الله:

وهو مقوم مهم يخرج به المصلح من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، وهذا مستفاد من قوله: (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ)، والمعنى: "يقول إلى الله أفوض أمري، فإنه ثقتي، وعليه اعتمادي في أموري" (الطبري،١٤٢٠، ج. ١٥، ص. ٤٥٤)، فلا قوة للمصلح ولا قدرة على الإصلاح إلا بتوكله على الله ثم بذله السبب بتوفير مقومات الإصلاح وأولها المؤهلات الذاتية.

-الإنابة إلى الله:

وهو مقوم حريّ بالمصلح أن يختم به عمله، وهو مستفاد من قوله: (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)، والمعنى: "وإليه أقبل بالطاعة، وأرجع بالتوبة" (الطبري،١٤٢٠، ج. ١٥، ص. ٤٥٤)، وفيه معنى العودة بالتوبة إلى الله من كل تقصير أو زلل في عملية الإصلاح. وقيل الإنابة الدعاء ومعناه: وله أدعو (القرطبي، ١٤٢٣، ٩، ص. ٩٠).

وفي تفسير الآية عمومًا يقول (السعدي، ١٤٢٠): "ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب

استطاعتي. ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله: (وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ) أي: وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير، والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوتي" (ص. ٣٨٧). ثم قال: أن بالتقرب بسائر هذه الأفعال تستقيم أحوال العبد.

ومن الفوائد التربوية لهذه الآية: "أن الأنبياء جميعهم بُعثوا بالإصلاح والصلاح، ونهوا عن الشرور والفساد، فكل صلاح وإصلاح ديني ودنيوي فهو من دين الأنبياء، وخصوصًا إمامهم وخاتمهم محمد ﷺ...وأنه كما أن على العبد السعي والاجتهاد في فعل الصلاح والإصلاح، فعليه أن يستمد العون من ربه على ذلك، وأن يعلم أنه لا يقدر على ذلك، ولا على تكميله إلا بالله" (السعدي، ١٤٢٠، ص. ٣٩٠).

وهناك آيات أخرى في القرآن الكريم احتوت عددًا من أعمال الخير التي تمثل مقومات للإصلاح الأسري تضاف للمقومات المذكورة من آية سورة هود، وهي:

-رد المخطئ للحق:

وهذا المقوم هو موجه مهم لمهمة المصلح إن رأى ظلمًا أو حيفًا أو إثمًا؛ فعليه رد صاحبه للحق وأمره بالعدل كما ذكر (السيوطي، ١٤٢٤، ج. ٢، ص. ١٧٠) في تفسير قوله تعالى: (فمن خاف من موصٍ جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) [البقرة:١٨٢]، وقال (الطبري،١٤٢٠، ج. ٣، ص. ٤٠٢) في تفسيرها: فمن خاف من موص لآبائه وأقربائه جنفًا على بعضهم لبعض، فأصلح بين الآباء والأقرباء فلا إثم عليه، ثم بيّن أن: الإصلاح إنما هو الفعل الذي يكون معه إصلاح ذات البين (الطبري،١٤٢٠، ج. ٣، ص. ٤٠٤)، وهذه الآية وإن كانت خاصة في الوصية فإنه يستفاد من عمومها تحديد شيء من مهام المصلح الأسري وهو الأخذ على يد المخطئ من أفراد الأسرة وإقامة العدل فيهم بالمعروف.

-العناية الخاصة بشأن اليتامى:

هذا المقوم يخص الأسرة التي تضم اليتامى في كنفها فهم ملحقون بالأبناء والإخوة داخلها، لذا كان شأن العناية بإصلاحهم عظيمًا ومرتبطًا بإصلاح أفراد الأسرة، وهو مستفاد من قول الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) [البقرة: ٢٢٠].

وقد وَصَفَ الْإِصْلَاحَ بِـ: (لَهُمْ) دُونَ الْإِضَافَةِ إِذْ لَمْ يَقُلْ إِصْلَاحُهُمْ لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ قَصْرُهُ عَلَى إِصْلَاحِ ذَوَاتِهِمْ فقط، فالمقصود جَمِيعُ الْإِصْلَاحِ لَا خُصُوصَ إِصْلَاحِ ذَوَاتِهِمْ فَيَشْمَلُ إِصْلَاحَ ذَوَاتِهِمْ وَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى وَيَتَضَمَّنُ ذَلِكَ إِصْلَاحَ عَقَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وكِفَايَةِ مُؤَنِهِمْ مِنَ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ وَالْمَسْكَنِ، وَيَشْمَلُ إِصْلَاحَ أَمْوَالِهِمْ بِتَنْمِيَتِهَا وَتَعَهُّدِهَا وَحِفْظِهَا (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج. ٢، ص. ٣٥٦).

-البِرّ:

وهذا المقوم يؤسس لعملية الإصلاح لتكون منطلقة من برّ الأهل، جاء في تفسير قول الله تعالى: (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم) [البقرة:٢٢٤]: "هو الرجل يحلف ألا يصل رحمه، ولا يبر قرابته، ولا يصلح بين اثنين، فلا تمنعه يمينه من أن يفعل ذلك، ويكفر عن يمينه" (ابن منصور، ١٤١٧، ج. ٣، ص. ٨٦٨)، وأولى الناس ببر الرجل هم أسرته وأهله يتقي الله فيهم ويبرهم رغبة في إصلاحهم؛ والبر جامع لأعمال الخير الكثيرة وبه يكون إصلاح الأسرة.

-التقوى:

وهذا المقوم شرط لعمل المصلح، يُلزِمه بتقوى الله فيمن يبتغي إصلاحهم، كما قال الله تعالى: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) [الأنفال:١]، وأكثر المفسرين على أن الآية نزلت في غنائم بدر، ولكن يمكن الاستفادة من عموم معناها بما يصلح حال الأسرة ويقيم دعائمها، والمعنى كما ذكر (النسفي، ١٤١٩، ج. ١، ص. ٤٠٩): فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله، قال (الطبري، ١٤٢٠): "اتقوه بطاعته واجتناب معاصيه، وأصلحوا الحال بينكم"(ج. ١٣، ص. ٣٨٣).

وقد وردت الإشارة للتقوى أيضًا في الآية التي تتحدث عن الإصلاح بين الزوج وزوجته في قوله تعالى: (وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورًا رحيمًا) [النساء:١٢٩]، وجاء في معناها: "وإن تصلحوا بالعدل في القسم وتتقوا الجور فإن الله غفورًا رحيمًا..." (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج. ١١، ص. ٢٣٧)

-اتباع سبيل المصلحين:

وهذا مقوم مهم متعلق بمنهج الإصلاح، مستفاد من قوله تعالى: (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) [الأعراف:١٤٢]، والمعنى: ولا

تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض، بمعصيتهم ربهم، ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم، ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم (الطبري، ١٤٢٠، ج. ١٣، ص. ٨٨). وأصلح: يعني وارفق بهم (البلخي، ١٤٢٤، ص. ٤١٣). فالاستفادة من منهج المُصلحين في إصلاح الأسرة والمجتمع مفيد في حصول الإصلاح والثبات على طلبه، فهذا موسى عليه السلام قد نبه أخاه هارون عليه السلام إلى ضرورة اتباع سبيل المُصلحين وتجنب سبيل المُفسدين.

يقول (الرازي، د. ت، ج. ١٤، ص. ١٨٥): "فإن قيل لمّا كان هارون نبيًا والنبي لا يفعل إلا الاصلاح فكيف وصاه بالإصلاح؟ قلنا: المقصود من هذا الأمر التأكيد كقوله: (وَلَاكِن لِّيَطْمَئِنَّ قلبي) [البقرة: ٢٤٠] والله أعلم".

-طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم:

من مقومات الإصلاح الأسري طاعة الله ورسوله ﷺ، جاء في قول الله تعالى: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) [الأنفال:١]، قال عطاء في قوله تعالى (وأطيعوا الله ورسوله): طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة (السيوطي، ١٤٢٤، ج. ٧، ص. ١٩). والمعنى: أي اتقوا الله بطاعته وأصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة والمخالفة (البغوي، ١٤١٧، ج. ٣، ص. ٣٢٦). يقول (السعدي، ١٤٢٠) في تفسير الآية: "وبذلك تجتمع كلمتهم ويزول التقاطع والتخاصم، ويدخل في إصلاح ذات البين: تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما في القلوب من البغضاء والتدابر، والأمر الجامع لذلك كله قوله: (وأطيعوا الله ورسوله)" (ص. ٣١٥)؛ فطاعة الله ورسوله تعني إقامة الحقوق وحفظ الود والصلة وحسن الخلق بين أفراد الأسرة.

-المسارعة في الخيرات:

هذا المقوم يؤكد على أهمية عناية جميع أفراد الأسرة بإصلاح ذواتهم من خلال المسارعة في أعمال الخير، وهو مستفاد من قوله تعالى: (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين) [الأنبياء:٩٠]، "أي أنهم استحقوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها" (النسفي، ١٤١٩، ج. ٢، ص. ٣٣٨)، وفي المشار لهم بالمسارعة قولان أحدهما: أنهم زكريا وامرأته ويحيى كما ذكر ابن الجوزي (ابن الجوزي، ١٤٢٢، ج. ٤، ص.

٣٥٩). ومنه يفهم أن المسارعة تكون من أفراد الأسرة جميعًا الزوج، والزوجة، والأبناء، وغيرهم؛ وعلى إثرها –بمشيئة الله– يحصل لهم استجابة الدعاء وهبة الولد وإصلاح الزوجة نتيجة مبادرتهم لأعمال الخير.

"واعلم أن قوله: ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه يدل على أن الواو لا تفيد الترتيب لأن إصلاح الزوج مقدم على هبة الولد مع أنه تعالى أخره في اللفظ وبين تعالى مصداق ما ذكرناه فقال: إنهم كانوا يسارعون في الخيرات وأراد بذلك زكريا وولده وأهله فبين أنه آتاهم ما طلبوه وعضد بعضهم ببعض من حيث كانت طريقتهم زنهم يسارعون في الخيرات" (الرازي، د. ت، ج. ٢٢، ص. ١٨٢).

-الدعاء:

وهذا المقوم يحث المُصلح أن يتجه بالدعاء إلى الله تعالى ويتضرع إليه بطلب إصلاح الولد أو إصلاح الزوج أو غير ذلك، وهذا مُستفاد من قول الله تعالى: (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين) [الأنبياء:٩٠]، فنصت الآية أن الإصلاح من الله تعالى حصل بعد دعاء زكريا عليه السلام بأن لا يذره الله تعالى فردًا، وصفة هذا الدعاء أنه كان رغبة في رحمة الله ورهبًا من عذابه كما ذكر (الطبري، ١٤٢٠، ج. ١٨، ص. ٥٢١)، ومن الأدلة على أهمية العناية بدعاء الله إصلاح الأولاد، قوله تعالى: (وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين) [الأحقاف: ١٥]، والمعنى: واجعل أولادي مؤمنين (البلخي، ١٤٢٤، ج. ٢، ص. ٢٢٣)، وقال (النسفي، ١٤١٩): "اجعل ذريتي موقعًا للصلاح ومظنة له" (ج. ٣، ص. ٣١٨)، ونقل (القرطبي، ١٤٢٣) أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وذكر في تفسير قوله: (وأصلح لي في ذريتي): "أي اجعل ذريتي صالحين. قال ابن عباس: فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدة إلا آمنوا بالله وحده. ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله أسلم هو وأبواه وأولاده وبناته كلهم إلا أبو بكر. وقال سهل بن عبد الله: المعنى اجعلهم لي خلف صدق، ولك عبيد حق. وقال أبو عثمان: اجعلهم أبرارًا لي مطيعين لك. وقال ابن عطاء: وفقهم لصالح أعمال ترضى بها عنهم. وقال محمد بن علي: لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلًا" (ج. ١٦، ص. ١٩٥).

وكل هذه المعاني المنقولة تفيد بأن دعاء الوالد سبب في حصول إصلاح الذرية. ويؤكد ذلك تفسير ابن عاشور لآية حيث نبّه: "بأن لا يغفل الإنسان عن التفكير في مستقبله بأن يصرف عنايته إلى ذريته كما صرفها إلى أبويه ليكون له من إحسان ذريته إليه مثل ما كان منه لأبويه، وإصلاح الذرية يشمل إلهامهم الدعاء للوالد...وأن دعوة الأب مرجوة الإجابة" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج. ٢٦، ص. ٢٩).

-الخشوع لله:

وهذا المقوم مستفاد من قوله تعالى: (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين) [الأنبياء:٩٠]، فمعنى: (وكانوا لنا خاشعين): أي كانوا لنا متواضعين متذللين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا كما ذكر (الطبري، ١٤٢٠، ج. ١٨، ص. ٥٢٢).

-صلاح الوالدين:

وهذا المقوم من أعظم ما يبر به الآباء أبناءهم؛ حيث صلاح الآباء إصلاحٌ للأبناء كما جاء في قوله تعالى: (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) [الكهف: ٨٢] جاء في مصنف (ابن أبي شيبة، ١٤٠٩، ١٩): "قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: طُوبَى لِوَلَدِ الْمُؤْمِنِ، طُوبَى لَهُ يُحْفَظُونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَرَأَ خَيْثَمَةُ: (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا)" (ص. ٢٥). وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) [الكهف: ٨٢] قَالَ: «حَفِظَهُمَا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا مَا ذَكَرَ مِنْهُمَا صَلَاحًا» (الحميدي، ١٩٩٦، ج. ١، ص. ٣٦٦).

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَحْفَظُ بِحِفْظِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ وَدُوَيْرَتَهُ الَّتِي فِيهَا وَالدُّوَيْرَاتِ حَوْلَهُ فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (الحميدي، ١٩٩٦، ج. ١، ص. ٣٦٦).

-التوبة والاستسلام لله:

وهذا المقوم يُمهد للدعاء بطلب إصلاح الذرية وتعليل الطلب بما حصل من الوالد من توبة واستسلام لله كما جاء في قوله تعالى: (قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين) [الأحقاف: ١٥]، وفي معنى الآية يقول (ابن عاشور، ١٩٨٤): "وجملة (إني تبت

إليك) كالتعليل للمطلوب بالدعاء تعليل توسل بصلة الإيمان والإقرار بالنعمة والعبودية" (ج. ٢٦، ص. ٢٩)، وقال (الطبري: ١٤٢٠) "(إني تبت إليك) تبت من ذنوبي التي سلفت مني في سالف أيامي إليك (وإني من المسلمين): وإني من الخاضعين لك بالطاعة، المستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك" (ج. ٢٢، ص. ١١٥).

-حفظ الأخوة:

وهذ المقوم مستفاد من قول الله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) [الحجرات:١٠]، وأخوة النسب والدين حين تجتمع معًا مقدمة على أخوة الدين فقط، لما فيها من صلة الرحم، وهذه الآية وإن كانت تتحدث عن أخوة الدين وليس النسب إلا أن فائدتها تعم الإصلاح في الأسرة بمعناها الممتد الذي يشمل أفرادها من غير إخوة النسب.

ومعنى (فأصلحوا بين أخويكم) أي بين كل مسلمين تخاصما وتقاتلا ومعنى الآية يأتي على الجميع؛ لأن تأويله بين كل أخوين (الواحدي، ١٤١٥، ج. ٤، ص. ١٥٤)، وذكر (الرازي، د. ت، ج. ٢٨، ص. ١٠٦) في تفسير هذه الآية: أن الإصلاح ليس مقصورًا عند الاقتتال فقط –وهذا قد يفهم من الآية السابقة لهذه الآية (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما بالعدل) [الحجرات:٩]–، إنما يكون فيما دون الاقتتال كالتشاتم والتسافه، بل يجب السعي بالإصلاح حتى عند أدنى اختلاف.

وأمر بتقوى الله المصلح والإخوة الذين يراد إصلاحهم؛ لأن التقوى تحملهم على التواصل والائتلاف (النسفي، ١٤١٩، ج. ٣، ص. ٣٤٣).

ثانيًا: الآثار المترتبة على توفر مقومات الإصلاح الأسري

هناك العديد من الآثار المترتبة على توفر مقومات الإصلاح الأسري داخل الأسرة، ظهر بعضها من خلال دراسة واستنباط المقومات من الآيات الكريمة في الجزء الأول من هذا المبحث، ومنها ما يلي:

-الخير المترتب على إصلاح شأن اليتيم:

يتبين هذا الأثر من قول الله تبارك وتعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) [البقرة:٢٢٠]، فإصلاح شأن اليتيم ومعاملته كالأخ أو الابن ورعاية ماله وتربيته يعود بالخير عليه وعلى المُصلح، يقول

(النسفي، ١٤١٩): "مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم" (ج. ١، ص. ١١١)؛ فتكون معاملته معاملة الأخ لأخيه كما ذكر (الشنقيطي، ١٤١٩، ج. ٨، ص. ٥٦٧)، وقد أكد هذه المعاني (الطبري، ١٤٢٠) بقوله: "يصلح له ماله وآمره له خير" (ج. ٤، ص. ٣٥٤)، وكذلك (ابن الجوزي، ١٤٢٢) قال: "تثمير أموالهم والتنزه عن أكلها لمن وليها خير" (ج. ١، ص. ٢١٥).

-التوفيق بين الزوجين:

يتبين هذا الأثر من قول الله تعالى: (إن يُرِيدَا إصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) [النساء:٣٥]، فإرادة الزوجين ورغبتهم في الإصلاح موعودة بالتوفيق بينهما جزاء هذه النية والإرادة الحسنة.

وحتى إن كان الضمير في (إن يُرِيدَا إصْلاحاً) للحكمين –كما ذكر بعض المفسرين– فإنهما إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما خالصة بوركت وساطتهما وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الألفة والوفاق، أو كان الضمير للزوجين فأرادا إصلاح ما بينهما فسيبدلهما الله بالشقاق وفاقًا وبالبغضاء مودةً. (النسفي، ١٤١٩، ج. ١، ص. ٢٢٦).

-رجاء حصول المغفرة والرحمة:

يتبين هذا الأثر من قوله تعالى: (فمن خاف من موصٍ جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) [البقرة:١٨٢]، ومن قوله تعالى: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورًا رحيمًا) [النساء:١٢٩]، فرد المخطئ إلى الحق، وعودة المخطئ وصلاح حاله موعود بالمغفرة والرحمة، ومعنى الآية: فالله يستر عليكم ما سلف منكم من ميلكم وجوركم عليهن قبل ذلك، بتركه عقوبتكم عليه، وهو رحيم بكم إذ تاب عليكم فقبل توبتكم من الذي سلف منكم. (الطبري، ١٤٢٠، ج. ٩، ص. ٢٩٣).

-رجاء تحقيق الإيمان:

يتبين هذا الأثر من قوله تعالى: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) [الأنفال:١]، فتقوى الله وطاعته طريق موصل للإصلاح المرجو به تحقيق الإيمان، ومعنى (إن كنتم مؤمنين) أي إن سبيل المؤمن أن يتمثل ما ذكرنا وقيل (إن) بمعنى (إذ) (القرطبي، ١٤٢٣، ج. ٧، ص. ٣٦٤)، "والمراد أن الإيمان الذي دعاكم الرسول إليه

ورغبتم فيه لا يتم حصوله إلا بالتزام هذه الطاعة...فيلزم عدم الإيمان عند عدم الطاعة" (الرازي، د. ت، ج. ١٠، ص. ٤٥٠).

-استجابة الدعاء وهبة الولد وإصلاح الزوج:

يتبين هذا الأثر من قوله تعالى: (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين) [الأنبياء:٩٠]، فالمسارعة في الخيرات والدعاء رغبة ورهبة بخشوع من الزوج والزوجة والأبناء والأسرة مجتمعين أحرى لاستجابة الدعاء، ومعنى الآية: فاستجبنا لزكريا دعاءه، ووهبنا له يحيى ولدًا، وأصلحنا له زوجه، وأكثر المفسرين على أن معنى أصلحنا له زوجه: جعلناها صالحة للولادة بعد أن كانت عقيمة (البغوي، ١٤١٧، ج. ٥، ص. ٣٥٣).

-حفظ الذرية:

يتبين هذا الأثر من قوله تعالى: (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) [الكهف: ٨٢]، فصلاح الوالدين مقدمة يترتب عليها الوعد بحفظ الأبناء، وعليه فـ"صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأبناء" كما ذكر (الرازي، د. ت، ج. ٢١، ص. ٤٩٢)، وعند (البلخي، د. ت): "إن الله ليحفظ الصالحين في أبنائهم" (ج. ٢، ص. ٣٠٤).

-قبول العمل والتجاوز عن السيئات:

يتبين هذا الأثر من قوله تعالى: (حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين* أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) [الأحقاف: ١٦/١٥]، فالتوبة من الوالد قُربة يتقرب بها لطلب إصلاح الذرية من الله تعالى، ومن كان هذا حاله فهو موعود من الله سبحانه بالقبول والتجاوز عن السيئات، يقول (الطبري، ١٤٢٠، ج. ٢٢، ص. ١١٦): هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين يُتقبل عنهم أحسن ما عملوا في الدنيا من صالحات الأعمال فيجازيهم به، ويثيبهم عليه، ويصفح لهم عن سيئات أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فلا يعاقبهم عليها. "وهم مع أصحاب الجنة" (البغوي، ١٤١٧، ج. ٧٧، ص. ٢٥٨).

-رجاء حصول الرحمة:

يتبين هذا الأثر من قوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) [الحجرات:١٠]، فتحقيق تقوى الله تعالى من المُصلح يترتب عليه حصول رحمة الله تعالى: يقول (ابن عاشور، ١٩٨٤): "ترجى لكم الرحمة من الله فتجري أحوالكم على استقامة وصلاح، وإنما اختيرت الرحمة لأن الأمر بالتقوى واقع إثر تقرير حقيقة الأخوة بين المؤمنين وشأن تعامل الإخوة الرحمة فيكون الجزاء عليها من جنسها" (ج. ٢٦، ص. ٢٠٤).

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات والمقترحات:

الحمدلله رب العالمين والصلاة على إمام المصلحين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، تبين من خلال عرض هذا البحث أن عمل الخير مؤثر في حصول الإصلاح الذاتي والأسري، وقد أوضح البحث ذلك من خلال التعريف بأعمال الخير المؤثرة في حصول الإصلاح الذاتي وأثرها، ومن ثم الحديث عن أعمال الخير كمقومات للإصلاح الأسري والآثار المترتبة على توفرها.

كما توصل البحث للعديد من النتائج، من أهمها:

- **إصلاح الدين هو أول مستوىً يجب أن ينصرف إليه اهتمام المُصلح لنفسه.**
- **ظهر من خلال الآيات التي تحدثت عن الإصلاح: التشنيع على الإفساد بعد حصول الإصلاح (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها).**
- **من أعمال الخير المؤثرة في حصول الإصلاح الذاتي: التوبة، وبيان ما جاء عن الله، والاعتصام بالله، وإخلاص الدين له، والإيمان، والتقوى، والعفو.**
- **ظهر من خلال الآيات أن أكثر أعمال الخير المؤثرة والممهدة لحصول الإصلاح هي: التوبة، وفي ذلك إشارة قوية وصريحة على ضرورة توافرها قبل عملية الإصلاح.**
- **أكثر الأعمال المؤثرة في حصول الإصلاح الذاتي متعلقة بالقلب، دلالة على أهمية العناية بأعمال القلب وأثرها في عمل الخير والإصلاح الذاتي.**
- **من آثار حصول الإصلاح الذاتي للفرد: توبة الله تعالى على العبد، والصفح عمن صلح حاله وتحققت توبته، والأجر العظيم من الله، وحصول المغفرة والرحمة، وانتفاء الخوف والحزن.**

- **من أهم مقومات الإصلاح الأسري: التأهل للإصلاح، وإرادة الإصلاح، والتصريح بالمقصد، وبذل الاستطاعة في الإصلاح، وطلب التوفيق من الله، والتوكل عليه، والإنابة إليه، واتباع سبيل المصلحين.**
- **هناك آثار مترتبة على توفر مقومات الإصلاح الأسري، منها: التوفيق بين الزوجين، وحصول المغفرة والرحمة وتحقيق الإيمان، واستجابة الدعاء، وحفظ الذرية، والتجاوز عن السيئات.**
- **ضرورة المسارعة في أعمال الخيرات من جميع أفراد الأسرة معًا؛ لأن صلاحها يكون بمجموع صلاحهم.**

ويوصي البحث بما يلي:

– تركيز المربين على موضوع الإصلاح الفردي لأهميته في حصول الإصلاح الأسري ومن ثم المجتمعي.

– تأهيل المصلحين الأسريين للإصلاح بمعرفة مقومات الإصلاح الأسري ودراسة النماذج التي قدمها القرآن الكريم له.

وتقترح الباحثة ما يلي:

– متابعة دراسة الآيات التي ارتبط بها لفظ العمل الصالح بوصف (الذين آمنوا) والآثار المترتبة على ذلك.

– دراسة مقومات شخصية المصلح الأسري من خلال القرآن والسنة.

المراجع

ابن أبي حاتم، عبدالرحمن الرازي. (د. ت). *تفسير ابن أبي حاتم*، تحقيق: أسعد محمد الطيب، صيدا: المكتبة العصرية.

ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد. (١٤٠٩). *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، الرياض: مكتبة الرشد.

ابن الجوزي، جمال الدين عبدالرحمن بن علي. (١٤١٨). *كشف المشكل من حديث الصحيحين*، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض: دار الوطن.

ابن الجوزي، جمال الدين عبدالرحمن بن علي. (١٤٢٢). *زاد المسير في علم التفسير*، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن سيده، علي بن إسماعيل. (١٤٢١). *المحكم والمحيط الأعظم*، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (١٩٨٤). *التحرير والتنوير*، تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عطية، عبدالحق بن غالب. (١٤٢٢). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن فارس، أحمد. (١٣٩٩). معجم *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٤٢٠). *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط٢، مصر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن منصور، أبو عثمان سعيد. (١٤١٧). *التفسير من سنن سعيد بن منصور*، تحقيق: سعد بن عبدالله آل حميد، ط١، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع.

ابن هبيرة، يحيى بن محمد. (١٤١٧). *الإفصاح عن معاني الصحاح*، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم أحمد، الرياض: دار الوطن.

أبو كريم، محمد عيد عبدالعزيز. (٢٠١٩، أكتوبر ١–٢). *العمل الخيري وأثره في الإصلاح الأسري والاجتماعي* [بحث مقدم]. مؤتمر العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، مج ١، ٥٦٩– ٦١٨.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله. (١٤١٥). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تحقيق: علي عبدالباري عطية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل. (١٤٣٢). *التنوير شرح الجامع الصغير*، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، ط١، الرياض: مكتبة دار السلام.

البغوي، الحسين بن مسعود. (١٤١٧). *معالم التنزيل*، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر.

البقاعي، إبراهيم بن عمر. (١٤١٥). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت: دار الكتب العلمية.

البلخي، مقاتل بن سليمان. (١٤٢٤). *تفسير مقاتل بن سليمان*، تحقيق: أحمد فريد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٤٠٧). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين.

الحميري، نشوان بن سعيد. (١٤٢٠). *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، تحقيق: حسين عبدالله العمري ومطهر علي الإرياني ويوسف محمد عبدالله، بيروت: دار الفكر المعاصر.

الرازي، محمد بن عمر. (د.ت)، *مفاتيح الغيب*، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل. (١٤١٢). *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دمشق: دار العلم للملايين.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل. (١٤٠٨). *معاني القرآن وإعرابه*، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، ط١، بيروت: عالم الكتب.

السامرائي، عبد الغفور اغلام. (٢٠١٩، أكتوبر ١–٢). *العمل الخيري وأثره في الإصلاح الأسري والاجتماعي* [بحث مقدم]. مؤتمر العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، مج١، ١٩٣– ٢٥١.

السعدي، عبدالرحمن ناصر. (١٤٢٠). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة.

السعيد، رضا محمود محمد. (٢٠١٩، أكتوبر ١–٢). *العمل الخيري وأثره في الإصلاح الأسري في العصر الحاضر* [بحث مقدم]. مؤتمر العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، مج ١، ٢٣٥–٣١١.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٤٢٤). *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، تحقيق: مركز هجر للبحوث، مصر: دار هجر.

الشايب، البشير التجاني. (٢٠١٩، أكتوبر ١–٢). *أثر العمل الخيري في الإصلاح الأسري والاجتماعي* [بحث مقدم]. مؤتمر العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، مج١، ص١٦١– ١٩٢.

الشربيني، أسامة إبراهيم. (٢٠١٩، أكتوبر ١–٢). *العمل الخيري وأثره في الإصلاح الاجتماعي* [بحث مقدم]. مؤتمر العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها، وهي: بحوث مؤتمر العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، مج ١، ١٠٥– ١٥٩.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (١٤١٥). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الصابوني، عبدالرحمن. (٢٠١٨). *نظام الأسرة وحل مشكلاتها في الإسلام*، ط٦، دمشق: دار الفكر المعاصر.

الصديقي، محمد بن علي. (١٤٢٥). *دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين*، عناية: خليل مأمون شيحا، ط٤، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

الطبري، محمد بن جرير. (١٤٢٠). *جامع البيان في تأويل القرآن*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

الطيبي، الحسين بن عبدالله. (١٤١٧). *الكاشف عن حقائق السنن*، تحيق: عبدالحميد هنداوي، مكة: مكتبة نزار مصطفى الباز.

عبدالحي، صباح خضر. (٢٠١٩، أكتوبر ١–٢). *العمل الخيري ودوره في الإصلاح الأسري والمجتمعي* [بحث مقدم]. مؤتمر العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، مج ١، ٣٧١– ٤٣٥.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (د.ت). *الفروق اللغوية*، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

الكيلاني، عمر عبدالله. (٢٠٠٨). *منهج الإصلاح في القرآن*، مجلة ديالي، العدد ٢٨.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر. (١٤٢٣). *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني. (د.ت). *الكليات*، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

مزيد، محمد غازي جمعة. (٢٠١٨). عمل الخيرات في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، [أطروحة ماجستير غير منشورة]، الجامعة الإسلامية، غزة.

المناوي، عبدالرؤوف بن علي. (١٤١٥). *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود. (١٤١٩). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط١، بيروت: دار الكلم الطيب.

النشمي، عبدالله علي أحمد. (٢٠١٧). إصلاح الفرد من خلال القرآن الكريم دراسة موضوعية تحليلية، [رسالة دكتوراه غير منشورة]، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (د. ت). *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار احياء التراث العربي.

الهروي، محمد بن علي. (١٤٢٠). *إسفار الفصيح*، تحقيق: أحمد بن سعيد قشاش، ط١، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

الواحدي، علي بن أحمد. (١٤١٥). *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، صفوان عدنان داوودي، ط١، دمشق: الدار الشامية.

ياسين، يونس محمود. (٢٠٠٦). الإصلاح الأسري من منظور قرآني، [أطروحة ماجستير غير منشورة]، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.